في ظل انقطاع الاتصالات: كيف ينقل المراسلون الأخبار من غزة؟

كتبه توم بينيت | 30 أكتوبر ,2023

ترجمة وتحرير: نون بوست

أمطرت القنابل غزة لمدة 19 ساعة متواصلة؛ حيث أمضى وجيه أبو ظريفة، صحفي ومدير "وايت ميديا"، الليلة الأولى من الحرب مختبئًا في منزله، يراقب الأخبار ويحاول التخطيط لتغطية الأسبوع لفريقه المكون من 15 صحفيًا. وفي صباح يوم الأحد، عندما وصل إلى مكتب "وايت ميديا" في شارع الوحدة، وجد المبنى بأكمله قد تعرض للقصف. وبرزت من جانبها نتوءات فولاذية شوهتها صدمة الانفجار. وتناثرت الأنقاض عبر الطريق، مما أدى إلى ظهور أعمدة من الغبار. وتناثرت رزم من أوراق المكتب على الأرض.

قال أبو ظريفة: "لقد فقدنا كل شيء؛ السترات الواقية من الرصاص ونظام الصوت والإنترنت وأجهزة الكمبيوتر المحمولة وأجهزة الكمبيوتر وكل ما كان لدينا.. لقد فقدناها في دقيقة واحدة".

ولكن في مكان ما وسط الحطام، كان هناك بصيص من الحظ: لم يكن أي من موظفيه هناك عندما تم قصف المبنى، كما لم تكن كاميراتهم كذلك.

ومنذ بدء الصراع بين إسرائيل وحماس في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، قُتل ما لا يقل عن 24 صحفيًا، وفقًا للجنة حماية الصحفيين، وهي المنظمة غير الحكومية؛ حيث قالت إن هذا الرقم أكبر مما حدث في كل الحروب السابقة في غزة منذ عام 2001.

وقد قُتل أكثر من 5000 شخص هناك منذ بدء الصراع. كما أن الخدمات تنهار، ويخشى الكثيرون في القطاع الإنساني من وقوع كارثة وشيكة. إن مثل هذه الظروف هي التي تشتد الحاجة فيها إلى الصحافة، ومع قلة عدد وسائل الإعلام الدولية القادرة على دخول غزة، تقع مسؤولية إعداد التقارير على عاتق الصحفيين الفلسطينيين المحليين، الذين يضطرون إلى العمل وسط انقطاع الكهرباء والإنترنت، ونقص الغذاء والماء، والخوف المستمر من الموت، كما اضطر معظمهم إلى الفرار من منازلهم، ولقد فقد الكثيرون أفرادًا من عائلاتهم، وقد تم استهداف البعض بشكل مباشر نتيجة لعملهم؛ لكن العديد من الصحفيين في غزة استمروا في العمل على الرغم من هذه الضغوط، واكتشفوا طرقًا للبقاء على الإنترنت ومواصلة نقل الأخبار.

وبالنسبة لظريفة – الذي عاش في غزة لمدة 55 سنة وقام بتغطية صراعاتها لمدة 30 سنة – فإن تدمير مكتب شركة "وايت ميديا" لم يكن ليثنيه عن ذلك.

في صباح ذلك اليوم الأول؛ بدأ فريقه عملية إعادة البناء، وكان المطلب الرئيسي هو الطاقة: فقد بدأت إسرائيل بقطع الكهرباء عن غزة، لذلك أصبحوا مبدعين، فقاموا بتسخير الطاقة الشمسية، والبحث عن المولدات، والحصول على بطاريات محمولة كبيرة جدًا للشحن أثناء التنقل. والآن، يسافر صحفيوه في كثير من الأحيان سيرًا على الأقدام عبر قطاع غزة الذي يبلغ طوله 25 ميلًا من أجل توفير الوقود لمولداتهم.

ولقد وجدوا مساحة مكتبية جديدة في منطقة الرمال الشمالية بمدينة غزة؛ حيث نقلوا عملياتهم هناك. وبعد يومين، تم قصف المبنى المجاور، وتحطمت نوافذ مكتبهم الجديد. وعلى الرغم من الأضرار؛ قرروا البقاء هناك، وقال ظريفة: "لا توجد أماكن آمنة في غزة. لقد دمروا معظم المدينة. ويقع المكتب الجديد في منطقة قريبة من مستشفى الشفاء، لذا فهو أكثر أمانًا من الأماكن الأخرى".

بدأ العديد من الصحفيين في استخدام المستشفيات والمناطق المحيطة بها كمكاتب مؤقتة، على أساس أنهم أقل عرضة للاستهداف، وفي مستشفى ناصر في مدينة خان يونس الجنوبية، أقام أكثر من 150 صحفيًا مخيمًا على أرض المستشفى، بما في ذلك نجل وجيه أبو ظريفة، صامد، الذي قال: "أقضي يومي محاولًا شحن هاتفي والكاميرا، والوصول إلى الإنترنت غير المستقر، ونقل القصص الإنسانية من المستشفى والمشرحة، التي لا تزال تمتلئ مرارًا وتكرارًا".

لكن فكرة توفير المستشفيات للحماية أصبحت موضع تساؤل الأسبوع الماضي بسبب حادثة أظهرت مخاطر التغطية الصحفية عن هذا الصراع وسبب أهمية القيام بذلك عن قرب، ففي حوالي الساعة السابعة مساءً بالتوقيت المحلي يوم الثلاثاء 17 تشرين الأول/ أكتوبر، تعرض مجمع المستشفى الأهلي في وسط مدينة غزة لانفجار ضخم. وكانت التقارير الأولية مرعبة: فقد قُتل المئات بحسب ما زُعم. بالنسبة لظريفة، كانت المهمة الأولى هي التحقق من سلامة زملائه، ثم: أرسل شخصًا إلى

هناك للتغطية الصحفية.

وبينما كان الصحفيون المحليون مثل ظريفة يتدافعون للوصول إلى مكان الحادث، توزعت الروايات حول ما حدث عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبدأ محللو الاستخبارات مفتوحة المصدر في البحث عن لقطات من القنوات الإخبارية وكاميرات المراقبة، وإنشاء رسومات ثلاثية الأبعاد للمستشفى، واستشارة خبراء الذخائر وتحليل صوت الانفجار.

أصدرت مجموعات بحثية محترمة، بما في ذلك "فورينزيك أركيتكشر" و"بيلنجكات"، نتائج كانت بعيدة عن أن تكون قاطعة؛ حيث قال البعض إن السبب ربما كان قنبلة إسرائيلية، والبعض الآخر صاروخ تم إطلاقه بشكل خاطئ من داخل غزة. بعد وقت قصير من الغارة، أصدر الجيش الإسرائيلي مقطعًا صوتيًا يُزعم أنه يُظهر اثنين من مقاتلي حماس يناقشان صاروخًا لم يتم إطلاقه بشكل صحيح وأصاب المستشفى، وطلبت القناة الرابعة الإخبارية في المملكة المتحدة من صحفيين محليين مستقلين تحليل المقطع الصوتي، الذين وجدوا أن "اللغة واللهجة واللغة المحلية وبناء الجملة والنبرة" ليست ذات مصداقية. في الأساس، أوضحت القناة الرابعة أن المقطع مزيف.

> بين التغطية الصحفية والبقاء على قيد الحياة، يتعين على الصحفيين في غزة أيضًا الحفاظ على سبل العيش التي كانوا يتمتعون بها قبل الحرب

وقال فرانشيسكو سيبريجوندي، مهندس الطب الشرعي الذي يساعد في التحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان: "كانت المعلومات المضللة وتكتيكات الحرب الضبابية جزءًا من ترسانة الجيش الإسرائيلي لسنوات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالعمل العسكري في فلسطين، وفي غزة على وجه الخصوص". وسيبريجوندي هو أيضًا زميل باحث في "فورينزيك أركيتكشر"، الذي انتقد رد فعل إسرائيل على الحوادث السابقة.

وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، شهدت مجموعة من الصحفيين الفلسطينيين مثل بلستيا العقاد، وبيسان عودة، ومعتز عزايزة، زيادة عدد متابعيهم إلى الملايين منذ بدء الحرب، فقد أثارت تغطيتهم الصامدة للوضع الثناء، ولكنها أدت أيضًا إلى التشكيك في موضوعيتهم، فبعد أن شوهدت العقاد وهي ترتدي قلادة عليها العلم الفلسطيني خلال مقطع فيديو، تلقت انتقادات شديدة عبر الإنترنت؛ حيث كتب أحد الأشخاص على موقع "إكس" في تعليق نموذجي للمناقشة التي جرت تحت منشوراتها: "إنها ليست صحفية، إنها حماس".

وقالت تمارا خروب، نائبة المدير التنفيذي للمركز العربي، وهو مركز أبحاث في واشنطن العاصمة: "إن محاولات تشويه سمعة الصحفيين الفلسطينيين ورواياتهم ليست جديدة. إنها تتراوح بين حملات التشهير والاتهامات الكاذبة بدعم حماس إلى وصفها بأنها منحازة. هذا بالإضافة إلى استهدافهم بالإساءات والتهديدات عبر الإنترنت [و] الرقابة على منصات التواصل الاجتماعي".

إن فكرة أن الصحفيين ليسوا محايدين – أو حتى أنهم مرتبطون بالمقاتلين – يمكن أن تعرضهم

للخطر، فكثيرًا ما وجد العاملون في مجال الإعلام أنفسهم على خط النار. ففي آيار/ مايو 2021، قصف الجيش الإسرائيلي مكاتب وكالة أسوشيتد برس في غزة؛ حيث أعطى الموظفين مهلة ساعة للإخلاء قبل ضربها بالصواريخ، وزعم الجيش الإسرائيلي أن مقاتلي حماس كانوا يستخدمون المبنى أيضًا. وفي أيار/ مايو 2022؛ قُتلت الصحفية في قناة الجزيرة شيرين أبو عاقلة بالرصاص أثناء تغطيتها لمداهمة للجيش في الضفة الغربية. لعدة أشهر، ادعى الجيش الإسرائيلي أنه غير مسؤول، قبل أن يعترف في نهاية المطاف بوجود "احتمال كبير" لكونه الفاعل.

قبل حوالي أسبوعين، في 9 تشرين الأول/ أكتوبر، قُتل الصحفيان سعيد الطويل ومحمد صباح، عندما قصفت طائرات حربية إسرائيلية منطقة تضم عددًا من دور الإعلام في منطقة الرمال غرب قطاع غزة.

وقال شريف منصور، منسق برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في لجنة حماية الصحفيين: "إن غالبية القتلى هم من الصحفيين الفلسطينيين المحليين المستقلين والمصورين الصحفيين الذين يفتقرون إلى موارد السلامة، أو دعم غرفة الأخبار، أو يمكنهم الآن الوصول إلى العالم الخارجي بسبب نقص الإنترنت والكهرباء".

> يشعر العديد من الصحفيين أنه ليس لديهم خيار سوى الاستمرار في توثيق الحرب

بين التغطية الصحفية والبقاء على قيد الحياة، يتعين على الصحفيين في غزة أيضًا الحفاظ على سبل العيش التي كانوا يتمتعون بها قبل الحرب. بالنسبة لأمل حلس، وهي صحفية تعمل في جنوب غزة، فإن التحدي الأكبر هو الموازنة بين عملها ودورها كأم؛ حيث وتقول: "كلما أترك أطفالي، فإنهم يحتاجون إلى عناقي ولمسة يدي لتخفيف خوفهم من الانفجارات". في بعض الأحيان، تقضي الليل بعيدًا عن المنزل لمواصلة تغطيتها.

أصبحت مهمة البقاء على اتصال مع العائلة والزملاء صعبة بشكل متزايد؛ حيث ينتشر انقطاع الإنترنت على نطاق واسع لدرجة أن الصحفيين غالبًا ما يتنقلون بين التقارير والمستشفيات، التي يتوفر في معظمها خدمة الواي فاي، من أجل الحفاظ على اتصالاتهم مع زملائهم. وحتى في هذه الحالة، قد يستغرق تحميل مقاطع الفيديو والصور ساعات، وعادة ما يتم إجراء الاتصالات أثناء التنقل عبر إشارة الهاتف الخليوي، ولكن هذا لا ينجح أيضًا في كثير من الأحيان. ولمتابعة الأخبار، بدأ الكثيرون في حمل أجهزة راديو صغيرة تعمل بالبطاريات.

ويقول ظريفة: "في كثير من الأحيان، نفقد التغطية بسبب فصل الإنترنت. لدينا المواد، لكننا لا نستطيع تحميلها".

وعلى الرغم من هذه التحديات، يشعر العديد من الصحفيين أنه ليس لديهم خيار سوى الاستمرار في توثيق الحرب؛ حيث قالت أمل حلس:" إذا توقفتُ أنا والآخرون عن العمل، فمن سيوصل

رسالتنا للعالم حول ما يحدث في قطاع غزة؟" وتساءلت: "من سيغطي هذه الأحداث الكارثية؟ من سيغطي المجازر؟ هذا هو عملنا وواجبنا كصحفيين في غزة. غزة الجريحة في قلوبنا، وهذا هو الحافز الأكبر لنا للاستمرار".

قال ظريفة: "إذا توقفت تلك الكاميرات عن العمل، فلن يعرف العالم ما يحدث هنا. وإذا فقدنا الكهرباء، وإذا فقدنا الإنترنت، فسوف نتوقف. وهذا ما تريده إسرائيل، أن تفعل كل شيء في الظلام".

المصدر: وايرد

رابط المقال : https://www.noonpost.com/177485/